للاستاذ محمود محمد الحبيب

صرعى الادب في العراق

(مهداة الاستاذ عبد المجيد لطفي

صاحب هذه الاثارة)

العراق مجمع النقائض ، وبلد المفارقات بدون منازلات ، فلو توغلنا في دراسة مجتمعه لظهر لنا خلف الاستار ، خليط من الفوضى والمعميات ، ولفهمنا الشيء الكثير عن هذا التفسخ الروحي والعقلي .. وان اكبر عار على جبيننا الحاضر ؛ ان نرى بأم اعيننا صرعى من خيرة شبابنا ومثقفينا ، فلا نملك الا الحسرة تنساب من شفاهنا ، والتشجيع المتهافت الذي لايغني شيئاً .. ومن المؤلم اننا — حكومة وشعباً — سادرون في دنيا الصمت ، فلم نحاول ولو مرة واحدة تلافي هذا الخطر الكبير الذي يهدد اسس الفكر والوعي الأدبي ، ولست ادري ماذا سيكون حكم الأجيال القادمة على هذا الجمود اذا ماستمرت هذه الحال

اسوق هذه المقدمة بعد ان انتهيت الساعة من مطالعة مقال « النهاية » في مجلة البيان الغراء ، فالقيت للتوقعي جانباً وانا أحس بغصة في حلقي ، بمرارة تنساب في اعماقي ، وبدمعة تترقرق في عيني اخذت اكفكفها بسرعة خشية ان يراها اخواني من الطلبة الجامعيين وهم يملؤن قاعة المطالعة في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت .. كان بودي ان اصرخ في تلك القاعة الفسيحة وانادي [مهلا ياشباب الجامعة لأقص عليكم خبر المأساة الكبرى ، ومحنة الأدب في العراق .. رويداً لتسمعوا انين جنود الأدب ، وحشرجة رواد الفن ، وها كم اقاصيص لثروة هائلة من الأدب والعلم والفن تضيع وتتلاشى وتندك ويعلوها الصدأ والرماد الى الابد . . اننا قد نقمنا على هولاكو التتري ووصفناه بأحط النعوت يوم نكب بغداد بخيله ورجاله ، ووأد علمها وحضارتها بالنار والماء . . فهل نقيم على حاضرنا الشقي الذي طعن تراثنا الأدبي بمدية الأهمال والجحود والحرمان والسخرية . . لقد تعامينا عن هذا التراث ، واغمضنا أعيوننا عن جمهرة كبرى من ادبائنا وشعرائنا وعلمائنا وفنانينا وهم منهارون ويتحطمون رويداً رويداً بدون معين ! !

انها الفوضى والبلبلة وضياع المقاييس في كل ناحية من نواحي حياتنا العقلية والاجتماعية ؛ ولعل هذا الداء منتشر في كافة اقطار العرب ، مذ تعودنا على الارتجال في اعمالنا واقوالنا وخططنا الاقتصادية والسياسية والتربوية .

شباب هائم متشائم يتخبط كالأعمى دون توجيه . . . والقوى الروحية والأخلاقية ، وهي امتن ركائز مجتمعنا ؛ باتت واهية في مهب كل ريح ، وقد اخذت تتفسخ وتتحلل . وهنالك جراثيم مدمرة ، وبكتريا جائعة مستشرية تصول وتجول في اجساد الجيل ، فتسمم العقول وتحتقر الدم ، وتلقي بالبنيان المرصوص ، جيلنا من بنات وبنين ، ومواهبنا المنشودة ، وطموحنا المرتقب ، ركاما وغبارا وعظاماً نخرة ، واجسادا متراخية مثقلة بالأفيون ، تطفىء نورها نسمة عابرة ، وتدك صرحها الضربة البسيطة ؛ وتلوك عقولها الانياب الجائعة .

> عندما نشرنا في العدد الماضي مقال « النهاية » كنا ننتظر من الادباء ان يدفعهم الى التعليق عليه تعليقا يعالج اوضاعنا المليئة بالمآسي ، ويلفتوا نظر ولاة الأمر للاحتراز من حدوث ضحايا أمثال الاستاذ عبدالمجيد ، والى هذه اللحظة لم يتصد أحد من هؤلاء مما يدل ان الأدب ممقوت ومغضوب عليه حتى من ابنائه سوى الاستاذ الحبيب الذي اندفع وهو خارج العراق فكتب هذا الحديث بدافع من غيرته عليه ومدى أثر قصة الاستاذ لطفي من نفسه .
>
> (البيان)

الأدب في العراق في محنة كبرى انه مقبل على الهاوية السحيقة وبيده كأس سم زعاف . . وبغداد موئل العلم وام الثقافات ، ومدرسة الفكر تعاني ازمة ثقافية مروعة ؛ والأدباء والشعراء والمربون حيارى وسط هذه الكارثة التي تنذر بشر مستطير لايعرفون من اين تبدأ واين ستظهر بوادر السلامة ؛ سلامة الفكر الانساني ، وسلامة العقل ؛ وولادة الروح ، ومتى ستظهر شمس جديدة تبدد اليأس والقنوط

والتشاؤم ؛ وتحقن ابناء الجيل الصاعد بالدماء النقية الحارة ٥

بيد اني كظمت هذه الخواطر التي انثالت وصخبت في رأسي ، وارجعت الطرف ثانية نحو مجلة البيان لأعيد مطالعة مقال الاستاذ عبد المجيد لطفي للمرة العاشرة او الخامسة عشرة من يدري فقد ضاع الحساب حين تبلبل الفكر ، وحين عاصت مدية حادة في قلبي بدون رحمة . .

* النهاية * ذلك عنوان مقاله الدامي الذي لا اشك بأنه قد كتب بالدماء والدموع ؛ وهو صرخة تحذير امتدت جذورها الى اعماق عشرين عاما مضنية مرهقة قضاها هذا الاديب جنديا في خدمة الادب العراقي ، ورائدا من رواد الفن القصصي ، ذلك الفن الذي لم يزل طفلا يحتاج الى اليد الحكيمة ، والعقل المدبر ، والعناية الدائمة .

ان اهل الميت اولى بالبكاء كما يقول المثل العربي . . فلتكن كلمتي هذه الى بني امي واخواني في العراق ، ارسلها اليهم منذرا بالخطر خطر الاعصار الذي اخذ يتلبد في الجو ، مهددا القيم الروحية ، والاشعاع الفكري ، ومدارس الادب ، ورياض الشعر ، ومختبرات العلم والاجتماع بالتأخر والنكوص .

يقول الاستاذ عبد المجيد في مقاله الذي يقطر بالفجيعة [فاذا للامة على الاديب بعض الواجبات ، فللأديب ايضا على الامة شعباً وحكومة بعض الحقوق بأن لا تتركه يحتضر ويندك ويتلاشى ويموت وحيداً وسط عوز قاتل وتعاسة طاغية] . . نعم ذلك حق ملموس ، ولكن ابن من يدين بالحق وينصاع له في زمن اختزم كافة المثل العليا المتعارف عليها !! ان للاديب والمفكر في العراق وفي سائر اقطار العرب [كل الحق] وليس بعضه على امته التي يحرق نفسه من اجلها ، وعلى حكومته التي يخدم بكفاية وصلابة وصبر ناحية من اهم نواحي تراثها الذي سيتكلم عنه المستقبل ، وتتحدث عنه الاجيال القادمة . . فالتاريخ الذي سيكتب عن الفتوح سيخط كذلك لونا آخر من حياة الامم ، واعني به [التراث الادبي والعلمي] الذي تنعكس عليه حقائق هامة من خطوط التفكير والابداع والتقابليه . . واننا اذ نقدس تراثنا وادبنا القديم الذي اكتسح العالم يوما ما ، والذي شع براقا من الحواضر والمدن العربية كبغداد والبصره والشام والقاهرة ومكة وغرناطة ، نود كذلك ان نقلل شيئاً من هذا الحماس الاتكالي ، والمظاهر المنفوخة ، ونقلم بعض الشيء من تبجحنا بمجد الاجداد ، وحسبنا نكوصنا المشين في مأساة فلسطين خير دليل على مدى انجرافنا بتهاويل الحماس للقديم دون مسايرة العالم ، وهل لم ندرك بعد سخرية الشاعر احمد شوقي حين صفعنا بشدة في قوله

[اين انتم من جدود خلدوا هذا التراثا]

فان في بيته من التصوير الصائب اللاذع مايغني عن مفصل ما كتب وسيكتب .

لقد عشنا على فتات مائدة اجدادنا ، فكبونا وسنكبوا مراراً ان لم نقلب خططنا رأساً على عقب ، ونبني فلسفتنا في الحياة والاجتماع على اساس تساوق طفرة العالم وانطلاق العلم في دائرة الذرة ؛ ولن يكون ذلك الا بتوجيه صادق رائده الاخلاص . . ان هذا التوجيه سيظل مشلولا ؛ ولن يتخذ تطوره السريع الايجابي الامتي تكفله المسؤولون القابضون على مصائر الأمة ، وغذوه بالمال ـ عصب الحياة ـ وزودوه بالكفاءات ؛ وجندوا له اناساً يعلمون حقيقة مهمتهم المقدسة ، وبعثوه من جديد دما حارا نحس بتأثيره وعمقه في حياة تسودها البلبلة والتقلص وانكماش النفوس .

أي شيء افجع وامرّ من حادثة هذا الصريع الجديد في ميدان الفكر ـ وما اكثر صرعانا ـ وهو يردد اسفه على تلك [الحماقة] الكبرى ويقصد بها انجرافه وجهاده الادبي طيلة عشرين عاما تمثل نصف عمره البرانج في ظلام الشقاء والعوز والفقر ؟ . . انه لم ينفق الأدب [بالحماقة] لمجرد العبث والتلاعب بالألفاظ ، بل لأنها جاءت خير تعبير موجز بليغ لتجارب عشرين حولا في مختبر الثقافة والأدب ودراسة طباع الناس والتي كان كلما جناها هذا الأديب عبارة عن كهولة مبكرة ورأس يكلله المشيب قبل الأوان ، ومرض يحطم العقل والروح وفاقة لا يحسدها عليه عدو لدود ، واخيرا عقوق مشين لمن كتب لهم وفي مجلاتهم وصحفهم واعتصر شبابه ليدل على مرونة توجيههم ، فتنكروا له في اشد ازمات النفوس .

ما كان هذا الجندي يخور وينهار ؛ لو وجد في مختبره العدد والادوات الكافية لأعماله الأدبية من دراسة وتحليل ونقد وتوجيه . . ولكنه عاش في بلاد جرداء لاتقدس الفن ،

ولا ترعى الأدب ؛ ولا تفهم احساس الأديب فهي كما يقول عبدالمجيد [لايعيش فيها اديب حق ؛ ولاشاعر حق ولافنان حق ولكنها ميدان خصب للمتزيفين واشباه الأدباء ممن باعوا اقلامهم وضمائرهم لقاء دراهم معدودة]

ان عبد المجيد لطفي اديب وقاص وشاعر ، فقد استطاع الابداع في هذا الثالوث الفريد ، وخط الوفا من الصفحات ، فأدى بذلك واجبه كجندي من جنود الفكر ، وعبر عن رأيه وفلسفته واغراضه بصراحة تامة ، ولكن النتيجة المرة كانت [لقد كسرت قلمي قبل ان يشهد نهاية المأساة] وكان ذلك من حقه .

لقد ارتج علي القول فماذا اكتب لهذا الانسان النبيل الذي انقطع بعد طول جهاد ؟ هل اقول له : [صبرا ياأخي ؛ على كافة المصاعب في سبيل رسالتك الادبية ؟]ولكن حقائق عشرين عاما من عمل مستمر بلا تقدير واحترام وتشجيع لتسخر من هذا الجواب .. أم اقول « لك عزاء بصرعى الادب من قبلك وهم جمع ليسوا بالقليل ؟ » ولكنه ربما اجاب : الي م هذه الضحايا ، ومتى سيزهر روض الأدب اذن ؟ وهل نظل عبيد اللامبالاة والجحود ؟ أم اردد « لتكن الزائد الذي ضحى براحته وصحته في سبيل قافلة الفكر ؟ » ، فربما جاءني الجواب الذي يدور على كل فم : ان رجال القافلة سيطويهم الزمن قبل الوصول مادام زادهم قليلا ، وماؤهم ناضباً] اذن لم يبق لي الا ان ارفع صوت العتاب اوجهه الى ابناء وطني ؛ والى حكومتي التين لمسوا جهاد هذا الأديب ، عسى ان يلقى هذا الصوت بعض صداه وفي ذلك بعض الوفاء .

والحقيقة ان الوضع الإدبي في العراق في مركز حرج جدا يصح معه ان نصفه بالعقم والجمود بالقياس الى النشاط الكبير في الأقطار الشقيقة مصر وسوريا ولبنان ؛ فهل نفهم من هذا ان العراق قد خلا من ادب حي ؛ وادباء يساوقون التيار ؟ ان الجواب سيكون بالنفي ، فبلادنا كانت ولم تزل غنية جدا بتراثها الادبي ولكن التشجيع والعناية ، والتوجيه المنكمش هم الذين سببوا هذه المأساة التي تروع كل فتى متحمس .

هنالك « ثروة ادبية مجمدة » واعني المخطوطات التي تعج بها المكتبات الخاصة في بغداد والكاظمية والنجف الاشرف والبصرة وغيرها من مدن العراق . . هذه الثروة المحبوسة تضم طائفة من الأدب والشعر والفلسفة والفقه والنقد والتاريخ والصرف والنحو ، واني على تمام اليقين بأن هذه الثروة لو طبعت لأحدثت رجّة كبرى في عالم الأدب العربي المعاصر ، ولسببت تغيير الكثير من احكامنا ومقاييسنا وحكمنا على الذهن العربي .

لقد كتب الاستاذ (علي الخاقاني) البحاثه المشهور وصاحب مجلة البيان ، كثيراً من البحوث المستفيضة عن هذه الكنوز ، ولكن بدون جدوى ، فلا اصحابها يميلون الى طبعها ، ولا الحكومة تسعى لشرائها منهم وتنشرها على الناس . . وفي هذا الاهمال من الطرفين نكسة كبرى للأدب العراقي المعاصر ، وتقهقر مشين للفكر .

وهنالك ادلة اخرى كانت من اركان التأخر الادبي الفضيع في العراق ، منها ان الحكومة اقفلت ابواب المجمع العلمي ببغداد بحجة العجز المالي في الميزانية ، وبعملها هذا صدمة للأدب الذي يريد الانتعاش . . ومنها الشلل الذي يصيب مجلة المعلم الجديد ، تلك المجلة التي تعد الأولى من نوعها في العراق لما تتناوله من بحوث تربوية ونفسية ، تهدي مواكب المعلمين وتصلهم بالثقافة العالمية النامية ، فهذه المجلة الخطيرة لاتظهر الا مرتين اوثلاثا في العام . وهنالك طائفة من المجلات الأدبية قد تهاوت الواحدة بعد الاخرى لعجزها المالي كالاعتدال النجفية والجزيرة والمجلة والرابطة وعالم الغد . . الخ هذه النماذج من منابر الفكر ، وسفاراتنا الادبية في الخارج قد القيت السلاح ، فحرمنا من مظهر هام تنعكس عليه صور صادقة من حياتنا الثقافية الحاضرة .

ولعل دار الاذاعة اللاسلكية ، وعدم مساهمتها الفعالة المثمرة في احتضان الأدب والادباء ، عامل خطير في تقهقرنا ايضا . فقد اصبحت الاذاعة اليوم مدرسة ذات اثر بعيد في حياة الامم وصوتا ناطقاً لعلمها وحضارتها . ومقارنة بسيطة بين مناهج اذاعة العراق ومناهج بيروت او الشرق او لندن او القاهرة تكشف لنا البون الشاسع .

ولننتقل الى شبابنا ؛ فتروعنا التيارات الخطرة التي

تعصف باهوائه ونزعته وثقافته . انه يسير بدون هداية وتوجيه وقد خدرته الافلام السينمائية الخليعة ، وسممته المجلات الداعرة وجرفته حياة الاثم ، فهل اعددنا له الخطط الحكيمة التي تصون نفسه وعقله ، وهل فتحنا نوادي الاستجمام البرئ من ملاعب ومسابح ، وهل ضمنه حلقات الأدب والعلم ؛ وكم تنال اندية الادب النجفية من معاضدة مادية تعينها على قلتها ، في سبيل الجهاد والصمود ؟

لقد فتشت طويلا في مكتبة الجامعة ببيروت عن مؤلفات لادباء العراق ، فهالني انها قليلة جدا مما يدل على ضعف حركة التأليف والنشر ، وضمور النشاط العلمي ، فاين ماسطره الزهاوي والآلوسي والراوي والرصافي والكرملي ويوسف رجيب من ادبائنا المنتقلين الى دار الخلود ، وان اشحنا بوجوهنا عنهم وهم احياء يرزقون ، اليس الواجب الأدبي يحدونا الى طبع مؤلفاتهم خدمة للادب ، واعترافا بالمستقبل ؟

وهنالك ثلة كبيرة من الادباء والشعراء والمربين ؛ تعمل بصمت ؛ وتخدم الثقافة ، ولكنها تشكو وتتذمر فهي في امس الحاجة الى المؤازرة الحقيقية ، افلم يحن الوقت للعناية بامثال البصير وفضيلة العلامة عباس شبر والشبيبي والشرقي والازري والسماوي والعزاوي ومصطفى جواد وعبدالمجيد لطفي وذنون ايوب ومحمد حسين اسماعيل والخاقاني والصائب والحبوبي والسياب وغيرهم من المربين التربويين كالسادة محمد حسين آل ياسين والبسام والدجيلي وعبد الحميد كاظم . . ألا يصح ان نلتفت الى الأدب النسائي ونشجع عاتكة وصدوف وام نزار ولميعة ونازك الملائكة وغيرهن من الاديبات ؟ اليس من الحرام ان يظل هؤلاء الجنود مجهولين حتى في بلادهم ؛ في الوقت الذي يفتقر العراق الى ابسط طرق الدعاوة لنفسه في الخارج ؟

ان العالم يسير بسرعة ؛ وحكومات الغرب قد وضعت ادباءها ومفكريها في اسمى مكان من الرعاية والتقدير ، ووفرت لهم كافة سبل الانتاج ، فمن منا لايعرف على سبيل المثال شكسبير وبيرون وزولا وموباسان وتولستوي وغوركي وطاغور وطه حسين ؟

نحن بأمس الحاجة الى يقظة وهزة تتناول الصميم من

البقية على صفحة ٤٤٤

أدب التأريخ

للشاعر المؤرخ الشيخ علي البازي

وقلت مؤرخا بناء الطارمة التي تبرع بانشائها الزعيم الحاج عبدالواحد الحاج سكر رئيس عشاير آل فتلة من الفرات لضريح الامامين العسكريين في سامراء في سنة ١٣٦٨ هجـ لراحة الزائرين واستراحتهم فيها :

بيت سما فوق السماكين بالعسكريين الامامين
اعني سليلي حيدر المرتضى والمصطفى الطهر العظيمين
طوبى لمن قام بتشييده اذ فاز في العقبى بمجدين
(واحد) عصر النور مقدامه ومن هو الانسان قمين
بسببه ارخ (وايجاده هذا مقام العسكريين)

وقلت مؤرخا ولادة رئاض ولد الاستاذ صالح الجعفري استاذ الادب العربي في ثانوية النجف وذلك سنة ١٣٥٦ هجـ

روض امانينا ازدهت ربوعه والمجد قد ضحى به مسرورا
وصالح آنس في أطوار الحمى باليمن ارخ (من رياض نورا)

وقلت مؤرخا ولادة زهير ولد الفاضل عبد العزيز الرويشدي في الكوفة وذلك سنة ١٣٦٦ هجـ

غردت بالبشر آطيار الهنا وشذا الازهار اضحى يعبق
والامانى اليوم وافت ارخوا (لعزيز كزهير تشرق)

وقلت مؤرخا سفر فضيلة السيد مير محمد نجل العلامة السيد مهدي القزويني الكاظمي من البصرة الى الحج وعودته سالما وذلك في سنة ١٣٥٩ هجـ

وافى من البيت الحرام محمد واماله التهليل والتكبير
وملائك الرحمن في تأريخه (قالت لسعي محمد مشكور)

وقلت مؤرخا وفاة الزعيم الشهير (سعد زغلول باشا) رئيس الحزب السعدي في مصر ذلك سنة ١٣٤٦ هجـ

قد خسر النيل بسعد فتى طبق معقولا بمنقول
صير من مصر منارا له ونال مالیس بما مول
لاغروان يبكي له شعبه بكاء مثكول بمثكول
وقال نعي اليوم تاريخنا (بندبنا لسعد زغلول)

الى اللبيب الحامل الاستاذ على الخاقاني المحترم

تحياتي واشواقي

وردني كتابكم المؤرخ في ١٩٤٩/٤/٦ الصادر عن (مجلة البيان) وكم كنت متعطشاً ـ وايم الحق ـ لمراسلتكم فكان بمثابة الطل الذي قد ارتمى في اكمام الزهرة الندية ، او هو الأمل الذي حصل عليه الراغب بعد الجهد فتصفحت اسناه وتضاعيفه وهفوت عليه ـ وله ـ بكل جوارحي فخالطتني نشوة الاخوة وسكرة الاشتياق ، وما كدت اقف على مغزاه ومرماه حتى انهدمت اللذة وسرعان ما تلاشت تلك النشوة المنعشة واستحالت الى حيرة مربكة صرت معها مبهوتاً فمعجباً ثم تملكت زمامي وبدأت اعيد قراءة الكتاب مرة فاخرى ، فوجدت الامر اسهل من السهل ، وابسط مما بدا .

انت تعلم كيف اني اهملت الموضوع نهائياً حتى هذه الفترة وبعد انتقال [جريدة الهاتف] الى بغداد واندحارها في ميدان الادب هذا الاندحار المرير رأيت من الواقع في مكان وفي ضوء الحقيقة الساطع ان لا يخلو جوهر الموضوع من [مجلة الاعتدال] وهي التي يعترف بفضلها كل متأدب واديب ، فابدلت الهاتف بـ [الاعتدال] عمداً وانت تعترف ايضاً ومعي بالفارق بينهما قنباً وقانباً .

هذا ما اراه ـ وقناس فيما يشقون ـ ثم بعد ان حررت الموضوع بسابق عهده كما هو عندكم الآن رأيت بعدئذ اني قد استعملت الهاتف كمجلة من حيث جريدة اسبوعية ولمعرف ما في هذا من نقد وحيف لعدم التفريق بين المجلة والجريدة .

على هذا ارسلت الموضوع الى مجلة الغري ومعه عدة مواضيع صغيرة وقصيره . اخي انت تعلم مقدار ما اكنه لكم من التفضيل على اي انسان . لذا فاني بادرت مسرعاً وعلى جناح السرعة فكتبت هذا الموضوع بعنوان [قائد الميادين] وارسلته لكم طي الكتاب ارجو نشره في البيان .

انا كما هو نحوكم ارجو ان لا تنتزع ثقتكم فينا . سلامي على الاخوان واسلم لأخيك المخلص عوناً وسنداً .

الهجر الكبير — فرحان جبر الكناني

[البيان] لم يعلم الكناني بقصد صاحب الغري عندما ابدل كلمة البيان بالشعاع فقد حاول ان يحدث ثغرة بين المجلتين وصاحبيهما متبعاً سياسة التفريق ، ولم يعلم بانه اساء الى [الوفاء] فقد نسي ان صاحبي [الشعاع] و [البيان] هما اللذان اصدرا صحيفته في السنة الاولى وخلقا منه صحفيا ، وفاته ان ربط الشعاع بالبيان لم يكن ناجماً عن زمالة فقط ، بل ان الصلة النفسية والاخوية والادبية تعود الى اكثر من عشرين عاما يوم ان كان صاحب الغري في بومباي الهند يلقي المحاضرات بلغة الاردو كما نسي الكلام المأثور [الباغي مصروع] و [على الباغي تدور الدوائر] وانا نكتفي بهذا اذ نتذكر الحديث الشريف (رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره .

« بقية صرعى الادب في العراق »

المنشور على صفحة ٤٤٠

امسنا الذاهب وحاضرنا المتعثر ومستقبلنا المبهم .. وبحاجة الى نهضة فكرية لاحياء تراث ادبي مخطوط بمجد ، ثم مواساة المؤازرة الادبية والمعنوية والمالية لادبائنا الذين يعيشون نهب القلق والحيرة والقنوط .. اما اذا عشنا على مائدة الامس ، فلا مناص بأن جنود الادب سيتهاوون واحداً تلو الآخر . وسيأتي اليوم الذي نتذكر الأمس بكل حسرة يوم سيغلننا التاريخ

بيروت — محمود محمد الحبيب